خواطر حول الفقيد

في رثاء عمي الحاج عبد العاطي والد زوجتي

عاش غريبا ومات أنيسا ، قضى معظم عمره خارج بلاده، أمينا على أسرته ، مخلصا في عمله، نزيها في تعامله، صادقا في كلامه ،خفيف الظل ، لطيف الروح. كان أنيقا ،دائم الابتسامة، حاضر النكتة ،سريع البديهة، قارئا للقرآن ،من الذاكرين المصلين.

لو سُئلتُ عن شخص أدّى رسالته على أكمل وجه، أقول هو، لو قيل لي من ذا الذي كان همّه أسرته ونجاح أبنائه والحفاظ عليهم أقول هو.

كان عفيف النفس كريم اليد ، لم يمدّ يده لأحد طول عمره ،لا تسوّلا ولا دَيْنا ولا حاجة، كانت يده هي العليا دائما ،عاش ومات وخيره على الجميع، أغدق عليهم هباته وعطاياه إلى أن مات، كان متكفلا باحتياجاته يُعالَج من ماله ،وتم تشييعه بماله، ودفنه بماله.

ترك ذريته على الطريق الصحيح ،رباهم وكبّرهم وعلّمهم، وحفظهم من كل سوء وحماهم من كل مكروه.

عانى في حياته أشدّ المعاناة، من اليتم والغربة وفقد الولد وفقد الابن ، ومن المرض ، ولكنه تحمّل كل ذلك بروح طيبة، بصبر المؤمن وجلَد المسلم ، لم يتضجر ولم يتأفف، ولم ينزعج ولم يتسخط.

كان فضله علينا جميعا ، ولم يكن لأحد ، لا أبناؤه ولا بناته ولا أحفاده ولا أصهاره فضل عليه.

اختار الله له وطنه مرقدا وقبرا وخاتمة لمشواره ونهاية لحياته ، رغم أن كل بقاع الدنيا تشتهي أن تضم رفاته الطاهر:

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر

كان يعطي مَن حوله عطاء من لا يخشى الفقر ، يهبهم من ماله وفكره وعصارة خبرته ،موجها وناصحا، يسعد بذلك ،وهذا شأن الكرام يسعدون بالعطاء سعادة الآخرين بالأخذ.

لا أنسى أول لقاء بيننا حينما ذهبت لخطبة ابنته ، كنت خائفا وَجلا مرعوبا لأنني كنت شابا صغيرا ، لا مال ولا خبرة ولا عمل ، لا أهل معي يتحدثون عني، كنت أعلم عنه أنه كان ذا هيبة ، قويا صعب المراس، محنّكا، يقرأ ما بين السطور ، يعرف النوايا ،ويفهم المقاصد، ويقدّر الأمور، لكنني وجدته معينا مساعدا مساندا متفهما.

كان يمتلك قوة جذب عالية ، كانت شخصيته مركزية ومحورية ،يلتف حوله الجميع، فالمكان لديه يتسع للجميع ،كقلبه، لك الله يا بيت غادره مركز الجذب ،وتركه محور الارتكاز، وهوى منه السقف ، وغاب عنه !!!

كان يتألم ألما مُمضّا ، ويتوجّع وجعا شديدا ،ويوعك وعكا عظيما، لو وزّع على مئة رجل لملأ صراخهم الآفاق ، لكنه ما كان يئن ولا يتأوه، كان صابرا صلدا جلدا :

"إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب"[1]

سلام عليك -يا عمّي - في جنات الفردوس ، رفع الله قدرك ومنزلتك ،وأعظم أجرك وأحسن عزاءنا وغفر لك ورحمك.

(١) سورة الزمر : الآية ١٠.